الإعجاز القرآني والمدرسة الاستشراقية لورا فيشيا (ت١٩٨٩) نموذجًا

الباحث/ مصطفى ربيع عبدالحفيظ
إشراف
الأستاذ الدكتور/ سيد عبد الستار ميهوب

ملخص البحث:

لفت الإعجاز القرآني أنظار المستشرقين، وكان من أبرزهم المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا، التي أبدت إعجابًا عميقًا بالإسلام، خاصةً بالقرآن الكريم، وخلصت في دراساتها إلى أنه ليس كتابًا بشريًا، بل وحيٌ إلهي جاء به النبي محمد ﷺ، يحمل من الفصاحة والبيان ما لا يُضاهى، ومن التشريع والحكمة ما يسمو فوق القوانين الوضعية، وأكدت في دراساتها أن القرآن لم يكن مجرد نص أدبي بليغ، بل كان نصًا محكمًا يجمع بين البلاغة المطلقة والرسالة السامية، وأكدت أن القرآن الكريم جاء بأسلوب لا يشبه كلام البشر، وأدب لا يماثل أدبهم، بل هو خطاب إلهي يجمع بين القوة والجمال، بين الإعجاز اللغوي والبياني، وبين التشريع الإنساني المتكامل. وقد رأت لورا أن القرآن الكريم **يحترم العلم والعقل**، فلا مجال فيه للخرافات أو الدجل، بل يدعو إلى التفكير والتأمل، ويحثّ الإنسان على البحث في أسرار الكون وتقول:" أما أسلوبه_ أي القرآن_ فأصيل فريد، والأثر الذي يحدثه في النفس البشرية انما يتم من غير عون عرضي أو اضافي، ان آياته كلها على مستوي واحد من البلاغة. وتواصل وصفها لعظيم بلاغة هذا الوحي وتبين كيف يعالج كل قضايا الإسلام، ويذكر قصص السابقين، بل وينتقل من موضوع إلى موضوع من غير أن يفقد قوته البلاغية بل نجد العمق والعذوبة معًا، وهما صفتان لا تجتمعان وتوكد أن القرآن هو نظام شامل لصلاح حياة الفرد والمجتمع فتقول:" إن الاسلام كان قانونًا ودينًا في وقت واحد، وإن الشريعة هي القانون الإسلامي ليست وقفا على الشعائر والطقوس، إن جميع مظاهر الحياة الجماعية الشخصية خاضعه لأحكامها، وإنها لتهدف إلى ربط كل عمل من اعمال الفرد بواجباته الدينية، إن جميع فروع القانون تتمثل في الشريعة الإسلامية".

الكلمات المفتاحية (الإعجاز، البلاغة، التحدي، العلم العقل)

Abstract:

The Quranic miracle has attracted the attention of orientalists, the most prominent of whom was the Italian Orientalist Laura Vecchia, who expressed a deep admiration for Islam, especially the Holy Quran, and concluded in her studies that it is not a human book, but a divine revelation brought by the Prophet Muhammad (peace and blessings of Allaah be upon him), which carries from eloquence and statement incomparable, and from legislation and wisdom it is a divine speech that combines power and beauty, between linguistic and demonstrative miracle, and between human legislation Integrated. Laura has seen that the Holy Quran respects science and reason, there is no room for superstition or quackery, but calls for reflection and meditation, and urges man to search the secrets of the universe, she says:" As for his style-the Quran-is unique, and the impact it has on the human soul is done without accidental or additional help, that his verses are all on the same level of eloquence. She goes on to describe the great eloquence of this revelation and shows how it addresses all the issues of Islam, recalls the stories of the previous ones, and even moves from topic to topic without losing its rhetorical power, but we find depth and sweetness together, which are two qualities that do not meet and affirms that the Quran is a comprehensive system for the goodness of the individual's life and society, saying:" Islam was a law and a religion at the same time, and Sharia is the Islamic law is not a moratorium on rituals and rituals, that all manifestations of personal collective life are subject to its provisions, and it aims to link each of the individual's actions with his religious duties, and all branches of law are represented by the Islamic Sharia"

Keywords (miracle, eloquence, challenge, science, reason)

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وجعله معجزة خالدة تتحدى الفصحاء والبلغاء على مر العصور. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أفصح العرب بيانًا، وأعظمهم حجة وبرهانًا، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن القرآن الكريم، كلام الله المعجز، يمثل ذروة البلاغة العربية، ومنبعًا لا ينضب لروائع الأدب، وقد استقطب اهتمام العلماء والمفكرين من مختلف الثقافات، بمن فيهم المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا، التي كرست جزءًا كبيرًا من حياتها لدراسة القرآن، واتجهت باهتمامها نحو دراسة الإسلام واللغة العربية والقرآن الكريم. وعاشت حياتها الأكاديمية لفهم الإسلام وفهم قيمه وتعاليمه في وقت كانت فيه الصورة النمطية عن الإسلام مشوهة في الغرب.

عاشت لورا فيشيا في فترة شهدت تحولات كبيرة في الدراسات الاستشراقية، واختلاف التيارات في حول الإعجاز: تيار ينكر الإعجاز القرآني ويرى أن القرآن نص بشري يمكن تحليله بنفس الطريقة التي يُحلل بها أي نص أدبي آخر مثل بروكلمان، بل ومنهم من ركز على الجوانب التاريخية للقرآن دون الاعتراف بتميزه الإعجازي مثل نولدكه.

وتيار آخر يؤكد على تفرد القرآن وإعجازه اللغوي والعلمي. وآخرون اعترفوا بوجود ببعض جوانب الإعجاز مثل مونتغمري وات

وتكلمت لورا فيشيا كثيرًا عن الإسلام في كتب ترجمت إلى العربية حول قضايا عدة منها (العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والقرآن، وحياة النبي صلى الله عليه وسلم)

وفي هذا البحث يتتبع الباحث كلامها في جوانب الإعجاز في القرآن، وإلى إيّ تيار اقتربت، وعرض كلامها على الرؤية الإسلامية.

منهج الدراسة:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي، وجمع المادة العلمية وعرضها وتحليل نصوصها واستنتاج بعض النتائج في نهاية البحث.

تقسيم البحث:

وسيوضح الباحث في هذا البحث جوانب الإعجاز في القرآن الكريم من خلال منظور لورا فيشيا، في النقاط الآتية:

- **بلاغة القرآن الكريم وإعجازه اللغوي.**
- **اهتمام القرآن بالعلم والمعرفة.**

- احترام القرآن للعقل وإعمال الفكر ورفضه للدجل والخرافة شمولية القرآن الكريم.
- الإسلام ليس مجرد دين روحي، بل قانون يسير شامل ينظم حياة الفرد والمجتمع.
- التحدي الإلهي وعجز البشر عن محاكات القرآن الكريم

والخاتمة وأهم النتائج وقائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، كتاب الله الخالد، وهو معجزة في ذاته، وقد تجلى إعجازه في جوانب شتى، منها جمال بيانه، ودقة نظمه، وكمال بلاغته، وأيضًا روعة معانيه وشمولها واتساقها، ودقة صياغتها، وقدرتها على مخاطبة الناس على اختلاف مداركهم وأزمانهم، وفي كمال تشريعه، ودقة تفاصيل ذلك التشريع وحكمته وشموله، وفي منهجه التربوي الفريد، و في إنبائه بالغيب مما تحقق بعد نزوله بسنوات طويلة، أو في إشاراته إلي العديد من حقائق الكون وسنن الله فيه مما لم يكن معروفاً لأحد من البشر وقت نزول القرآن ولا لمئات من السنين بعد ذلك النزول.

وقد وضح الباحث اهتمام العلماء والباحثين على مر العصور، ومن بينهم المستشرقون الذين سعوا إلى فهم هذا الكتاب العظيم وتحليله من وجهات نظر مختلفة.

ومن خلال هذا العرض قد ظهر التباين بين آراء المستشرقين حول إعجاز القرآن، فمنهم من أنكر وجود أي إعجاز فيه، مثل جولد تسيهر وغيره ومنهم من اعترف بوجود جوانب إعجازية في القرآن الكريم، بل وتعمق بعضهم في دراسة هذه الجوانب والإقرار بها، ومن بين هؤلاء لورا فيشيا وسيطرح الباحث في هذا المطلب آراءها حول الإعجاز.

- **بلاغة القرآن وإعجازه اللغوي.**

تبدأ لورا إثباتها لإعجاز القرآن الكريم من خلالها على بلاغته، وإعجازه اللغوي، الذي ظهر في وضوح بيانه، وسهولة ألفاظه، وفصاحة معانيه، وجمال أسلوبه، فتقول " أما اسلوبه فأصيل فريد، والأثر الذي يحدثه في النفس البشرية انما يتم من غير عون عرضي أو اضافي، وأن آياته كلها على مستوي واحد من البلاغة.[١]

فالأسلوب القرآني يجمع بين الجمال اللفظي، والإعجاز البياني، والتأثير النفسي العميق، مما يجعله أسلوبًا فريدًا لا يُضاهى، يجذب القلوب ويهدي العقول، ويتميز بأسلوب بلاغي رفيع، يتجلى في استخدام التشبيهات والاستعارات والكنايات، والجناس والطباق، وغيرها من الأساليب البلاغية التي تزيد الكلام جمالاً وتأثيراً.

وحتى يتضح هذه البلاغة، والفرق بين الأسلوب التي كانت علية العرب وبين أسلوب القرآن الكريم يعرج الباحث إلى توضيح أساليب العرب السائدة وقت نزول القرآن الكريم فقد كانت العرب آنذاك تعتمد في كلامها على أربعة أساليب مشهورة عندهم وهي[٢]:

(١) فاغليري (لورا فيشيا): دفاع عن الإسلام، نقله للعربية منير البعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، ط ٥، ١٩٨١ صـ٥٧

(٢)الألوسي (محمود بن عبد الله): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني دار إحياء التراث العربي بيروت، صـ٢٩

١. **أسلوب المحاورة:** وهو الأسلوب الذي كان متداولًا في المحادثات اليوميــة ولــم يكــن مختصًّا بطائفة منهم.

٢. **أسلوب الخطابة:** هو الأسلوب المتداول بين خطباء العرب وبلغائهم.

٣. **أسلوب الشعر:** وهو الأسلوب المتعارف عليه بين الشعراء المعتمد على بحور الــشعر المعروفة في علم العروض.

٤. **أسلوب السجع المتكلّف:** وهو أسلوب الكهنة والعرافين.

وقت نزول القرآن الكريم، ولم يأت الوحي المنزل على النبي محمد على أي صورة من هذه الصور، وإنّما جاء في قالب مغاير لهذه الأســاليب جميعــا، فلــم يعهــد بلغــاء العــرب وفصحاؤهم من قبلُ الصورة التي نزل بها القرآن الكريم، ومن ثَمَّ بدأ استغرابهم من الأســلوب والصورة الأدبية التي جاء بها.

وهذا ما شهدوا به؛ حيث عبَّروا عن هذه الحقيقة بأقوال شتّى يكتفي الباحث بنمــوذجين فقط:

١. **قول لوليد بن المغيرة:** "وماذا أقول، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشــعار منــي، ولا أعلم برجز، ولا بقصيدة منِّي، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هــذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنّه ليعلو ومــا يُعلى"(١).

٢. قول **عتبة بن ربيعة:** " إنيّ قد سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط، والله مــا هــو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم"(٢)

وتواصل لورا وصفها لعظيم بلاغة هذا الوحي وتبين كيف يعالج كل قــضايا الإســلام، ويذكر قصص السابقين، بل وينتقل من موضوع إلى موضوع من غير أن يفقد قوته البلاغيــة بل نجد العمق والعذوبة معًا، وهما صفتان لا تجتمعان عادة على حد قولها.(٣)

وكلام لورا هنا يوافق ما جاء به الشيخ محمد أبو موسى بقوله: وعلاقات الجمل وتولد بعضها من بعض أو نمو جملة من الجمل داخل جملة حتى ترى جملة الجمل هذه تختلف طولًا وقصرًا ونظامًا ونغمًا وهي في هذا الاختلاف وهذا التنوع داخلة في أعطاف جملــة واحــدة، ترى ذلك وغيره في قوله تعــالى: "وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا

---

(١)النيسابوري (محمد بن عبد الله): المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة بيروت ١٩٨٦، ج ٢، صــ٥٠٧

(٢) ابن هشام (عبد الملك): السيرة النبوية، مكتبة محمد علي صبيح وأولاد، القاهرة، ١٩٦٣م، ج١، صــ١٩

(٣) لورا: دفاع عن الإسلام صـــ٥٧

وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا
وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ
يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ
وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾[1] حيث تتكاثر الجمل الداخلة في حيز هذا المبتدأ "**وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ**" وينتهي خبر هذا المبتدأ عند آية رقم (٧٠) حيث يبنى الخبر الأخير على إعادة المبتدأ باسم الإشارة "**فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**" بذلك يكون عندنا عشر آيات هي جملة واحدة مكونة من مبتدأ وخبر.[2] وهذا من الإعجاز اللغوي في القرآن.

وتعدد لورا الأدلة على إثبات الإعجاز للقرآن الكريم فتقول " وكيف أنه من الصعب الإتيان بمثله، مع أنه ميسور الفهم، واضح البيان"[3]

ويفهم الباحث من قولها "**من الصعب الإتيان بمثله**" يوافق ما جاء به الإسلام بأن المعجزة هي أمر خارق للعادة، يجريه الله تعالى على يد نبي من أنبيائه، تصديقًا لرسالته، وتأييدًا لنبوته. والمعجزة هي تحدٍ من الله تعالى للبشر، ولا يمكن لأحد أن يأتي بمثلها، لأنها من عند الله تعالى، وليست من صنع البشر.

وقولها "**ميسور الفهم، واضح البيان**" فإن لورا ترى أنه سهل الفهم للقارئ واضح البيان أنزله الله تعالى ليكون هدى للناس أجمعين، وليكون نورًا يضيء لهم دروبهم، وليكون شفاءً لما في صدورهم. ووصف لورا هذا موافق لما جاء به رب الأرباب واصفًا القرآن الكريم بأنه سهل الفهم، ميسر لمن تدبره، فقال تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ "[4]

وبيّنت لورا في كتاباتها أن الأسباب التي تؤهل القران لأن يكون معجزة من رب العالمين كثيرة ومتعددة، منها التنبؤ بالمستقبل فتقول" ومن أسباب إعجازه هو التنبؤ ببعض

---

(١) سورة الفرقان: آيات ٦٣: ٧٠

(٢) أبو موسى (محمد محمد): دلالات التراكيب دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، مصر، القاهرة١٩٨٧ ط ٢، صـ٦٠

(٣) لورا: دفاع عن الإسلام صـ٥٦

(٤) القمر، آية ١٧

أحداث المستقبل، إلى جانب وصفه لوقائع حدثت منذ قرون ولكنها كانت مجهولة علـــى جـــه عام[١]"

من أوجه إعجاز القرآن الكريم أنه أخبر عن أحداث مستقبلية وقعت لاحقًا كما أخبر بها، وهـــذا مما يدل على أنه وحي من عند الله، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله. ومن الأمثلة على ذلك:

١. **انتصار الروم بعد هزيمتهم:**

قـــــال الله تعـــــالى: "**غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾**"[٢]

حين نزلت هذه الآية، كانت الدولة الرومية قد تعرضت لهزيمة ساحقة أمام الفرس، وكان مـــن المستبعد أن تعود للانتصار خلال سنوات قليلة. لكن بعد سبع سنوات تقريبًا تحقق ما أخبر بـــه القرآن، وانتصر الروم على الفرس، كما وعدت الآية.

٢. **دخول المسلمين مكة فاتحين:**

قال الله تعالى: **لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾**"[٣]

نزلت هذه الآية بعد صلح الحديبية، حين مُنع المسلمون من دخول مكة، لكن القـــرآن وعـــدهم بأنهم سيدخلونها قريبًا، وهو ما تحقق بالفعل في فتح مكة عام ٨ هــ.

٣. **إخبار النبي عن استمرار بقاء الإسلام:**

قال الله تعالى:"**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾**"[٤]

وتحقق هذا الوعد حيث انتشر الإسلام في أنحاء العالم وأصبح من أكثر الأديان انتشارًا رغـــم العداء الذي واجهه منذ بداياته.

هذه الأمثلة وغيرها تدل على إعجاز القرآن الكريم، حيث أخبر عن أمور مـــستقبلية لا يمكـــن لأحد أن يتنبأ بها، إلا إذا كان وحيًا من عند الله.

وترى لورا أن من خصائص القرآن الكريم التي تدل على إعجازه، بل ومن العجب أنه يُتلى مرارًا وتكرارًا، ومع ذلك لا يشعر المسلمون بالملل، بل يزدادون به حبًا وتدبرًا وخشوعًا

---

(١) لورا: دفاع عن الإسلام صـــــ٥٨

(٢) الروم، آيات ٢: ٤

(١٢) الفتح، آية ٢٧

(١٣) التوبة، آية٣٣

هذه الظاهرة العجيبة تُعد وجهًا من وجوه الإعجاز، لأن أي كلام بشري مهما بلغ من البلاغة والفصاحة، فإنه لو تكرر لأصبح مملًا، بينما يظل القرآن متجددًا في كل مرة يقرأه المؤمن.حب المؤمنين إلى قراءته وترديده دون الشعور بالملل بل لشعورهم براحة تكسبهم اليقين والإيمان الكامل لله رب العالمين فتقول: " إن هذا الكتاب التي يتلى كل يوم في طول العالم الإسلامي وعرضه، لا يوقع في نفس المؤمن أيما حسًا بالملل، بل على العكس أنه من طريق التلاوة المكررة يُحبّب نفسه إلى المؤمنين أكثر فأكثر يوما بعد يوم، أنه يوقع في نفس من يتلوه أو يصغى غليه حسا عميقًا من المهابة والخشية أن في امكان المرء أن يستظهره في غير عُسر. "[1]

ولعلّ ظاهرة التكرار في القرآن دليل على كلام لورا، فمن يرتّل **سورة الرحمن،** ويعيد ترتيلها مرارًا لا يشعر بشيء من الرتابة مطلقًا رغم تكرار العبارة نفسها في ٣١ آية**!** وذلك لأنّ تلك العبارة في الآية" **فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** " تحمل الشحنة التي في الآية أو الآيتين أو الآيات قبلها، فتأتي كاستجابةٍ لمشاهد الطبيعة والإنسان والقيامة المتعاقبة، وكفاصلٍ يستروح فيه الضمير الإنساني، فلا تتعاقب تلك المشاهد بزخمها دون فسحة للتدبّر بنعم الله وعظمته!

وقد تتكرر الآية لتوضيح معنى بتقديم ما هو أوثق صلة بغرض الكلام وسياقة، في كما في قوله تعالى: **وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** "[2] وقوله في آية أخرى "**وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ** "[3]

قال في الأولى "**نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** "، فقدم ضمير المخاطبين على الأولاد، وقال في الثانية: "**نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ** " فقدم ضمير الأولاد على المخاطبين، وذلك أن الخطاب في الأولى للفقراء بدليل قوله من إملاق المفيد أنهم في إملاق فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم لأنهم في حاجة إليه الآن، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم، والخطاب في الثانية للأغنياء بدليل قوله خشية إملاق فإن الخشية إنما تكون من أمر لم يقع فكان رزق أولادهم في هذا السياق هو المطلوب دون رزقهم، وهذا من غاية الدقة في الأعجاز اللغوي[4]

(١) لورا: دفاع عن الإسلام صـ٥٩
(٢) الأنعام، من الآية ١٥١
(٣) الإسراء، من الآية٣١
(٤) أبو موسى: دلالات التراكيب دراسة بلاغية، صـ٥٧

ومن الأسلوب القرآني أيضًا، الأسلوب القصصي، فيتضمن العديد من القصص التي تحكي عن الأنبياء والرسل والأمم السابقة، وهذه القصص تتميز بجمال الأسلوب وروعة التصوير، مما يجعلها مؤثرة في النفوس وتستخلص منها العبر والعظات.

وتكرار القصص القرآني، من الشبهات التي أكثر المستشرقون اللغو حولها، كما وضح الباحث هذا في المبحث الأول من هذا الفصل، واتخذوها كذلك منفذاً للطعن في القرآن الكريم بأن هذا التكرار يسلب عنه صفة الإعجاز.

وعارضتهم لورا في ذلك، وبينت أن ذكر وتكرار قصص السابقين، لم يكن الهدف منه مجرد إعادة بلا فائدة، بل كان أسلوبًا بلاغيًا يخدم معاني متعددة، ويؤدي أغراضًا مختلفة، تثبت من خلاله بلاغة وإعجاز القران.

ودافع هؤلاء المشككين إلى إثارة هذا الزعم هو جهلهم باللغة العربية وأسرار البيان، فهو السبب الحق الذي أضلهم وجعلهم يرون القرآن كلامًا من الكلام يجرون عليه الحكم الذي يجري على غيره، أما علم هؤلاء أن أرباب الفصاحة وعلماء البلاغة قد حاروا في كشف البيان عن وجوه إعجاز القرآن بعد أن ثبت عندهم بالوجدان والبرهان، بل عجز العلماء والبلغاء عن الإتيان بسورة مثل سور القرآن في الهداية والأسلوب، أو حسن البيان، فيه لذات عقلية وروحية، وطمأنينة ذوقية وجدانية، تتضاءل دونها شبهات الملحدين، وتنهزم من طريقها تشكيكات الزنادقة والمرتابين.

وهذا يوافق تمامًا ما جاء به الشيخ محمد عبده ،" أن لكلام الله أسلوبًا خاصًا يعرفه أهله ومن امتزج بلحمه ودمه، أما الذين لا يعرفون منه إلا مفردات الألفاظ وصور الجمل فأولئك عنه مبعدون.. ويقول أيضًا: فهم كتاب الله – عز وجل – يأتي بمعرفة ذوق اللغة، وذلك بممارسة الكلام البليغ.(١)

وتنفي لورا أن القرآن مجرد نصٍّ أدبيٍّ أو شعريٍّ، وهذه الظاهرة تكاد تكون عامة، حيث تعرضوا للقرآن باعتباره يمثل مرحلة من مراحل الأدب العربي، وقوموه بالمقاييس الأدبية الأوربية تارة وبالعربية تارة أخرى، وفي هذا الصدد يشير الباحث إلى مثال واحد من أمثلة لا تكاد تحصى كثرة، إلى مقارنة المستشرق الألماني كارل بروكلمان بين القرآن وسجع الكهان حيث يقول: "ولكن محمدًا التاجر المكي هو الذي ساقته ضرورة دينية أعز وأقوى إلى أن يعلن صلته بالله، واستخدم محمد في دعوته أساليب الكاهن، كان محمد في أقدم مراحل

(١) الرافعي: مصطفى صادق، إعجاز القرآن دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٢٨م، ص٢٠

دعوته الدينية يطلق ما يدور بخلده، وهو صادق الاستغراق والغيبوبة، في جمل مؤثرة يغلب عليها التقطع والإيجاز وتأخذ طابع سجع الكهان [1].

فتقول لورا نافية لما سبق ذكره، ومؤكدة أنه كلام الله المُعجز الذي نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم فتقول: "وليس ثمة أيما نمط لهذا الأسلوب في الأدب العربي الذي تحدّر إلينا من العصور التي سبقته".[2]

وهذا يعد رد قويًا على من زعم أن القرآن الكريم أدب يخضع لخصائص وطبائع الأدب الأرضي البشري، وقد تعاملت كثيرًا من الدراسات الاستشراقية معه بعيدًا عن القدسية الدينية التي يعامل بها المسلمون المؤمنون كلام الله–القرآن الكريم–، وهذا في الواقع انعكاس لطبيعة تعامل المستشرقين مع كتبهم الدينية حيث يدرسونها كما يدرسون الآثار الأدبية القديمة والأساطير والملاحم الخرافية [3].

وتسأل لورا هؤلاء المنكرين لإعجاز هذا الكتاب العزيز، الذي أذهل البلغاء وأعجز الفصحاء، بعد نفيها أن يكون القرآن من تأليف رجل أميّ لا يقرأ ولا يكتب رجل نشأ في بيئة بعيدة عن مظاهر العلم والفلسفة، ومع ذلك جاء القرآن الكريم بعلوم ومعارف لم تكن معروفة في عصره، بل كشفت الحقائق العلمية التي لم يتوصل إليها البشر إلا بعد قرون.

فتقول: " فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد، وهو العربي الأمي الذي لم ينظم في حياته غير بيتين أو ثلاثة ابيات، منها قوله (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب لا ينمّ ايّ منها عن أدني موهبة شعرية؟! [4]

وليس فقط الجانب اللغوي هو كل مظاهر إعجاز الفرآن، ففي كل زمان تبرز في القرآن معجزةٌ تناسب احتياج أهل ذلك الزمان، وثقافاتهم، فهو كتاب خالد، يتميز بالقدرة على العطاء، والامتداد والاستجابة لمعالجة مشكلات العصر ومتغيراته، فلما كان حظ العرب في وقت نزول الرسالة من الثقافة العلمية قليلًا وكانت براعتهم في مجال اللغة؛ برز جانب الإعجاز البياني ليناسبهم، وأمَّا في هذا الزمن زمن التقدم العلمي؛ كان الاحتياج للإعجاز العلمي كلغة دعوة يُخاطب بها الدعاة المدعوين بنفس لغة عصرهم.

(١) بروكلمان كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار المعارف القاهرة، ط٣، ج١، ص١٣٤-١٣٧.

(٢) لورا: دفاع عن الإسلام صـــ٥٦

(٣) شلتاغ(عبود شراد): الاستشراق الأدبي، ١٩٩٠م، ط١، ص٨١.

(٤) لورا: دفاع عن الإسلام صـــ٥٧

- **اهتمام القرآن بالعلم والمعرفة**

لم تعن أمة من الأمم ولا حضارة من الحضارات بالعلم والعلمــاء، كمــا عنيــت أمــة الإسلام وحضارته، وذلك لأن العلم عند الأمم إنما يكون لغايات معيــشية دنيويــة، أمــا فــي الإسلام فأهميته لأنه الباب إلى معرفة الله وحسن عبادته، وبه تصلح الــدنيا والآخــرة، وهــو أساس العلاقات الإنسانية السليمة، وأساس التفكير القويم وأساس العمل الصالح، وقــد كثــرت الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وآثار الصحابة والــسلف الــصالح، فــي الحث على العلم، وبيان فضله، والرفع من قدره وقدر العلماء وإنه لينفد القرطــاس، وتنتهــي الأنفاس قبل أن تحصي ما ورد في ذلك من نصوص.

وبهذا دافعت لورا عن الإسلام ضد من يقول أن الإسلام كان عائق أمام العلم، وذكــرت البراهين التي تثبت تشجيع الإسلام علماء المسلمين في بنــاء الحــضارة الإنــسانية، وكانــت أعمالهم مرجعًا أساسيًا في النهضة الأوروبية، تميزوا بالتجربة والمنهج العلمي، وكــانوا روادًا في تأسيس العديد من العلوم التي نعتمد عليها اليوم، ولم يكن يومًا ضد العلم أو التفكير الحــر، بل دعا الإنسان إلى استخدام عقله في كل أمور حياته من خلال القرآن الكريم والسنة النبويــة، فالإسلام يحث على التدبر والتأمل والاجتهاد، مما ساهم في بنــاء حــضارة زاخــرة بــالعلوم والمعرفة.(١)

وهذا التشجيع الذي تكلمت عنه لورا، يتفق مع الرفعة وعلو الشأن الذي جاء في القــرآن الكريم، في شأن العلم والعلماء في آيات كثيــرة، يقــول تعــالى: " يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ (٢)" ويقول تعالى: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ " ٣ ويقول تعــالى " أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ (٤)"

---

(١) لورا: دفاع عن الإسلام صــــ١٣٠-١٣١

(٢) المجادلة: من الآية١١.

(٢٥) الزمر: من الآية ٩

(٤) فاطر: آيات ٢٧:٢٨.

فقد ربطت هذه الآية بين العلم وخشية الله تعالى، إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير، الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى أتم والعلم بها أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكبر(١)

وتشجيع العلماء على طلب العلم والتعلم في القرآن الكريم كان له تأثير عظيم في نهضة الحضارة الإسلامية وانتشار المعرفة، حيث أدى هذا التشجيع إلى نهضة علمية واسعة استمرت عبر العصور، حتى بعد عهد الخلفاء الأوائل، وقد انعكس هذا التشجيع في دعم الحكام والخلفاء للعلماء، مما أدى إلى تأسيس مراكز علمية ساهمت في نقل العلوم وتطورها فتقول لورا: " إن أفكار الفلاسفة بلغت آنذاك منزلة رفيعة جعلت العلماء يقتفون آثارهم، هارون الرشيد أصدر أمره آنذاك بأن يلحق بكل مسجد مدرسة يلتقي فيها الطلاب مختلف العلوم، وأن المكتبات الحافلة بمئات الآلاف من الكتب كانت مشروعة الأبواب آنذاك في وجه العلماء والدارسين في طول العالم الإسلامي وعرضه" (٢)

وعلى هذا تثبت لورا رفضها للتشويه الإعلامي ضد الإسلام، أو الترويج لفكرة أن الإسلام يقف ضد الثقافة، وأنه دين يعارض العلوم، والأدب فتقول: " لكن في حقيقة الأمر الإسلام لم يكن يومًا عدوًا للثقافة، بل كان حاضنًا لها وداعمًا لازدهارها، حيث شجّع على طلب العلم، ونشر العلوم النافعة، واحتضان الحضارات المختلفة، فحينما كانت أوروبا غارقة في ظلمات العصور الوسطى، كان الإسلام يشع بنور العلم والحضارة، ناشرًا أرقى المعارف التي أصبحت فيما بعد أساس النهضة الأوروبية. فتقول: " كيف نستطيع أن نقول إن الإسلام عاق نمو الثقافة في القرون السالفة ونحن نعلم أن بلاطات الإسلام ومدارسه كانت آنذاك مناره ثقافة لأوروبا الغارقة في ظلمات القرون الوسطى"(٣)

لذا، فقد شهدت لورا بأن العلماء العرب كانوا أول من وصلوا إلى المنهج التجريبي، وهو الأساس الذي تقوم عليه العلوم الحديثة، فقد أسسوا قواعد البحث العلمي المعتمد على التجربة والملاحظة الدقيقة، مما ساهم في تطور العلوم الطبيعية والفيزيائية والكيميائية. فتقول "ألم يكن العرب أول من اصطنعوا الطرائق التجريبية قبل أن يعلن بايكون ضرورتها بزمن طويل وتطور الكيمياء(٤) وعلم الفلك(٥) ونشر العلم الاغريقي(١) وتعزيز دراسة الطب(٢)،

(١) تفسير ابن كثير: ج٥، ٥٨٠.
(٢) لورا: دفاع عن الإسلام صـــ١٣٠
(٣) المصدر السابق
(٤) كجابر بن حيان (٧٢١-٨١٥م)، وهو يُلقب بـ"أبو الكيمياء."
(٥) كالبتاني والكندي من بعده

واكتشاف مختلف القوانين الفيزيائية[٣]. أليست هذه مآثر العرب وان كان ذلك كذلك. فعندئــذ لا نستطيع أن نقول أن من طبيعة دينهم ان يخلق عقبات في طريق العلم."[٤]

ورغم انتفاء المعارضة بين الدين والعلم، إلا أن معظم المستشرقين " قد غلبتهم العصبية على أن يقولوا كلمة الحق وأن ينطقوا بما في أيديهم من شواهد، فقــد كــابروا، ولجّــوا فــي الضلال، ورموا الإسلام بكل ما تحمل صدورهم من غل، وما تنفث أقلامهم من ســم، حتــى فضح ذلك عند من لا يعرفون الإسلام من قومهم حين رأوا سبابًا وشتائم لا تتفق مــع مــنهج العلم، الذي من شأنه أن يعرض الحقائق، ويترك للناس الحكم عليها، دون أن يمزجها بمــرارة الحقد، ونفثات عداوته[٥]

وبالنظر في هذا الموضوع بطريقة أكثر انصافًا وبأسلوب مختلف فعلمــاء الاستــشراق بشر مثلنا، يتعصبون لدينهم وقومياتهم مثلما نتعصب لديننا وقوميتنا، ومــا ينبغــي أن نلــومهم على هذا التعصب أو نغضب لعجزهم عن التجرد من أهوائهم، وإنما نحن هنا بــصدد قــضية علمية وتاريخية، تلزمنا بأن نكون على وعي بما لابس عمل أكثر المستشرقين من انحراف لــم يكن منه بد، بحكم ما استهدف الاستشراق في نشأته الأولى من خدمة الكنيسة ، وليس علــيهم بأس في أن يقولوا فينا ما يقولون، متى كانــت أقــوالهم معبــرة عــن رأي لهــم أو صــدى لاستهوائهم بما راج في بيئاتهم من أقاويل عنّا،

لكن البأس كل البأس أن يحمل " البحث العلمي" وزر هذه الأهواء فتخرج بحوث لهــم مشحونة بأباطيل يزعمون أنها مما هدى إليه استقراؤهم لتراثنا، ويفرضون له حرمــة علميــة حين يسوقون وشواهد من نصوص في التراث انحرف بها الهوى والتعصب، فضلوا ضــلالاً بعيداً"[٦]

- **الإسلام ليس مجرد دين روحي، بل قانون يسير شامل ينظم حياة الفرد والمجتمع**

هناك عقول مفكرة تفكر في الأحكام قبل إصدارها، وخصوصًا حــين تتــدبر الإســلام وأحكامه، وتنظر إلى الإسلام بموضوعية، بناء على أحكام مبنية على واقع من التاريخ والعقل

---

(١) الكندي (٨٠٥–٨٧٣م): يُعتبر أول فيلسوف عربي، ولقّب بــ"فيلسوف العرب." وكحنين بن إسحاق (٨٠٩–٨٧٣م): أحد أبرز المترجمين في بيت الحكمة. والفارابي (٨٧٢–٩٥٠م): لُقب بــ"المعلم الثاني" بعد أرسطو، وكان من أعظم من فهم وشرح الفلسفة الإغريقية

(٢) كالرازي (٨٦٥–٩٢٥م): مؤلف "الحاوي" و"الطب المنصوري." وابن سينا (٩٨٠–١٠٣٧م) :صاحب "القانون في الطب"، الذي ظل يُدرّس في أوروبا لقرون

(٣) كالحسن بن الهيثم (٩٤٥–١٠٤٠م) وهو من أبرز العلماء المسلمين الذين أسسوا علم الفيزياء التجريبية، خاصة في علم البصريات .اعتمد على المنهج العلمي القائم على الملاحظــة والتجربة.

(٤) لورا: دفاع عن الإسلام صــــ١٣٠–١٣١

(٥)الخطيب (عبد الكريم يونس): " الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام: القسم الرابع" في بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي، صــ٤٤١

(٦) بنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمن): تراثنا بين ماضٍ وحاضر، دار المعارف القاهرة:(١٩٦٩م) ص ٥٣.

والإنصاف، فلا يتقيد الحكم بصاحبه فقط، بل يتعداه إلى من يجاورونه أو من يتعاملون معه أو يقرءون له

فتشير لورا أن من الإعجاز أنه ليس مجرد دين روحي أو عبادة فردية، بل هو أيضًا قانون شامل ينظم حياة الفرد والمجتمع، ويحدد علاقة الإنسان بربه من خلال العبادة والطاعة، وكذلك يحدد علاقات الناس ببعضهم البعض في مختلف جوانب الحياة، ويتعامل مع كل جانب من جوانب الحياة الإنسانية، سواء كان ذلك في العبادة أو في المعاملات أو في الأخلاق، وقوانين الإسلام تشمل تنظيم الأسرة، والاقتصاد، والعدالة الاجتماعية، والعلاقات بين الأفراد والمجتمعات. فتقول: " إن الاسلام كان قانونًا ودينًا في وقت واحد، وإن الشريعة هي القانون الإسلامي ليست وقفا على الشعائر والطقوس، إن جميع مظاهر الحياة الجماعية الشخصية خاضعه لأحكامها، وإنها لتهدف إلى ربط كل عمل من اعمال الفرد بواجباته الدينية، إن جميع فروع القانون تتمثل في الشريعة الإسلامية."((١))

ويفهم الباحث من كلام لورا " قانونًا ودينًا في وقت واحد" أنها تقصد بالدين العقيدة، وتقصد بالقانون الشريعة، وهذا تمامًا ما وضحه الشيخ شلتوت بقوله: " الاسلام عقيده وشريعة تلقى محمد عن ربه الأصل الجامع للإسلام في عقائده وتشريعه، وهو القرآن الكريم وكان القرآن عند الله وعند المسلمين المصدر الاول في تعريف التعاليم الأساسية للإسلام، ومن القرآن عرف أن الاسلام له شعبتان اساسيتان، لا توجد حقيقته ولا يتحقق معناه إلا إذا أخذت الشعبتان حظهما من التحقق والوجود في عقل الانسان، وقلبه، وحياته، وهاتان الشعبتان هما العقيدة والشريعة: ١ **والعقيدة:** هي الجانب النظري الذي يطلب الايمان به أولًا، وقبل كل شيء، إيمانًا لا يرقى إليه شك، ولا تؤثر فيه شبهه، ومن طبيعتها: تضافر النصوص الواضحة على تقريرها، وإجماع المسلمين عليها من يوم أن ابتدأت الدعوة مع ما حدث بينهم من اختلاف بعد ذلك فيما وراءها وهي اول ما دعا إليه الرسول، وطلب الناس الايمان به في المرحلة الاولى من مراحل الدعوة، وهي دعوه كل الناس وهي تعود كل رسول جاء به من قبل الله، كما دل ذلك القرآن في حديثه عن الانبياء والمرسلين٢- **والشريعة:** هي النظم التي شرعها الله أو شرع اصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه، وعلاقته بأخيه المسلم، وعلاقته بأخيه الانسان، وعلاقته بالكون، وعلاقته بالحياة.

((١)) لورا: دفاع عن الإسلام صـ ٩٤

وقد عبر القرآن عن العقيدة "**بالأيمان**" وعن الشريعة "**بالعمل الصالح**" وجاء ذلك في كثير من آياته الصريحة. **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس النزلاء. ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياه طيبه ولنجزينهم بأحسن ما كانوا يعملون والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات تواصوا بالحق وتواصوا الصبر**

من هنا لم يكن الاسلام وعقيده فقط، ولم تكن مهمته تنظيم العلاقة بين الانسان وربه فقط، وإنما كان عقيدة وكان شريعة توجه الانسان الى جميع النواحي الخير في الحياة، وعليه فمن آمن بالعقيدة وألغى الشريعة، أو أخذ بالشريعة وأهدر العقيدة، لا يكون مسلمًا عند الله ولا سالكًا في حكم الاسلام سبيل النجاة.[١]

وتؤكد لورا على أن القرآن هو دستورٌ إلهيٌ شاملٌ، وقانونٌ محكمٌ يضمن صلاح المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان، ينظم شؤون الحياة، ويضع القواعد التي تحقق العدل، وتُرسي قواعد التعايش، وهو قانون يضمن الأمن والطمأنينة للقلوب والعقول على السواء، ففي آياته يجد البسيط ما يحفظ له حقوقه، ويرشده إلى سبيل الرشاد، كما يجد فيه العالم والمثقف بحرًا لا ساحل له من الحكمة والمعرفة، فتقول: " إن سلطان مثل هذا الدين على حيوات الناس عموما بصورة أخص على حياة الأميين وغير المثقفين، سلطان موصول وسليم في وقت واحد، لان المفاهيم الأخلاقية لا قيمه كبيره لها عند هؤلاء، ما لم تكن منصوصة عليها في صراحه القوانين ودقته، ما لم يتحمل معها عقوبات واضحة محدده أحسن تحديد."[٢]

ولم يَقِف القرآن الكريم عند جانب واحد من الجوانب الإنسانية، بل إنه تحدث بشمولية إعجازية بديعة عن كل الجوانب التي يحتاج الإنسان إليها؛ وخاصة في الجوانب الدينية والتعبدية؛ لأنها مجالات متعددة لذلك شملها القرآن في ثنايا حديثه وآياته، فتقول لورا: " إنه شامل جامع، ومع ذلك فهو ذو حجم مناسب، ليس بالطويل أكثر مما ينبغي وليس بالقصير أكثر مما ينبغي.[٣]

ويؤيد الباحث كلام لورا في قولها: " **شامل جامع**" لأن القرآن بيانٌ لكل ما يحتاجه الإنسان في حياته، ولم يغفل شيئًا يحتاجه البشر في هدايتهم وصلاحهم وأيضًا لأنه جاء موافقًا لما قاله الله تعالى في القرآن، قال تعالى: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ

(١) شلتوت: الامام الاكبر محمود شلتوت، العقيدة والشريعة، الشروق القاهرة ٢٠٠١م، ط ١٨صـ ٩-١١

(٢) لورا: دفاع عن الإسلام صـ٩٣

(٣) المصدر السابق، صـ٥٦

وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ "(١) وقوله أيضًا: "مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ "(٢)

ومن اعجاز القرآن الكريم، والدين الإسلامي كما وضحت لورا فيشيا أنه دين عظيم، يتميز باليسر والسماحة، وقد جاء ليخفف عن الناس أعباء الحياة، ويرفع عنهم الحرج، وقد تجلت سهولة الإسلام في العديد من جوانب الدين، سواء في العقيدة أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق، فهو دين ظاهر الوضوح، ومتجاوز التعقيد الذي وقعت فيه أديان ومذاهب أخرى، فتقول: " فبينا نجد جميع الأديان الأخرى تقدم إلى أبنائها حملًا ثقيلًا من العقائد التي لا يستطيعون حملها وفهمها، نرى الإسلام يحمل رسالة ذات سهولة ونقية كالبلور، وكان ذلك سببًا آخر أيضًا في انتشاره السريع إبان الفتوح الأولي بين أناس غرقوا في اضطراب روحي عميق بسبب من الغموض الذي يكتشف بعض معتقداتهم الدينية، وهو أيضا السبب في انتشاره الموصول اليوم بين الشعوب غير المتحضرة في آسيا وأفريقيا؛ لأن الإسلام قادر على النفاذ إلى أعماق نفوسهم من غير لجوء إلى شروح مطولة، أو عظات معقدة ".((٣))

وأيضا السهولة واليسر ومراعاة قدرة الإنسان على الاحتمال؛ إذ إن الله لم يفرض على الإنسان مجموعة من القوانين بعجز عن احتمالها، ولم يفرض عليه في أي من الشعائر، قواعد جامعة قاسية لأنه يريد بالناس اليسر ".((٤))

كل هذه المبادئ تجعل لورا تقدم أعمق إعجابها بهذا الدين المكون من "عقيدة وشريعة"، الذي يقدم للإنسان منهجًا متكاملًا يجمع بين الحياة الدنيا والآخرة، ويرسم له طريقًا منيرًا في عالم مليء بالتحديات فتقول " إن علينا أن نقدم أعمق إعجابنا إلى دين لا يكتفي بنظرية ملائمة لمطامح الطبيعة البشرية، وبإقامه شريعة تتألف من أسمي القوانين التي يستطيع الانسان الحياة وفقها، ولكنه يذهب إلى أبعد من ذلك فينادي بفلسفة حياة، دين يقيم مبادئ الأخلاق الأساسية على أساس نظامي وإيجابي، دين يفرغ واجب الإنسان نحو نفسه ونحو الآخرين في قواعد دقيقة قابلة لتطوير وملائمة لأسمى الترقي الفكري، دين يقدم فوق ذلك كله دعمًا لهذه النواميس(٥).

---

(١) النحل، من الآية ٨٩

(٢) الأنعام، من الآية٣٨

(٣) لورا: دفاع عن الإسلام صـــ٦٠_٦١

(٤) المصدر السابق، صـــ٧٠

(٥) يلاحظ الباحث اعتماد لورا في بعض دراساتها على مصطلحات غير إسلامية عند تحليلها للقضايا الإسلامية، مما قد يُعزى إلى ضعفها في اللغة العربية أو تأثرها بالمفاهيم الغربية في دراستها للإسلام واستخدام مصطلحات غير دقيقة لغويًا قد يؤدي إلى تشويه المعاني الأصلية للنصوص الإسلامية، أو تقديم فهم غير مكتمل للأحكام والمفاهيم الشرعية.

الخاتمة وأهم النتائج:

وفي ختام هذا البحث، ظهر الإعجاب والإنصاف الشديد الذي أبدته المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا بالإسلام، وبخاصة القرآن الكريم، ولقد رأت في الإسلام دينًا شاملاً، يجمع بين العقيدة والشريعة والقانون كما عبرت عنه، ومع تركيز خاص على جوانب الإعجاز التي تجعل الإسلام دينًا فريدًا وشاملًا. من خلال تحليلها، برزت عدة نقاط رئيسية:

١. **الإسلام ليس مجرد دين روحي، بل نظام شامل:**

- الإسلام يقدم نظامًا متكاملًا ينظم حياة الفرد والمجتمع.
- يشمل العقيدة (الإيمان بالله ورسله) والشريعة (الأحكام والقوانين التي تنظم العلاقات بين الناس).

٢. **إعجاز القرآن الكريم:**

- القرآن معجزة خالدة، تحدى الله به البشر أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة واحدة، وعجزوا عن ذلك.
- هذا التحدي يؤكد على الإعجاز اللغوي والفكري للقرآن، وأنه ليس من صنع البشر.

٣. **سهولة الإسلام ومرونته:**

- يتميز الإسلام باليسر والسماحة، حيث يراعي قدرات الإنسان ولا يفرض عليه ما لا يستطيع تحمله
- الإسلام يرفع الحرج عن الناس ويقدم حلولًا عملية للحياة اليومية.

٤. **التحدي الإلهي في القرآن:**

- القرآن تحدى العرب، الذين كانوا معروفين بفصاحتهم وبلاغتهم، أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة واحدة، وعجزوا عن ذلك.
- هذا التحدي يؤكد على أن القرآن ليس من صنع البشر، بل هو كلام الله المعجز.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا مصادر لورا فيشيا:

١. فاغليري: لورا فيشيا، دفاع عن الإسلام، نقله للعربية منير البعلبكي، دار العلم للملايين بيــروت، ط ٥، ١٩٨١

ثانيًا: المصادر والمراجع العربية

١. بروكلمان (كارل): تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، المنظمة العربيــة للتربيــة والثقافة والعلوم، دار المعارف القاهرة، ط٣.
٢. بنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمن): تراثنا بين ماضٍ وحاضر، دار المعارف القاهرة:(١٩٦٩م)
٣. الخطيب: (عبد الكريم يونس): الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام.
٤. ابن هشام: (عبد الملك): السيرة النبوية، مكتبة محمد علي صبيح وأولاد، القاهرة، ١٩٦٣م.
٥. شلتاغ: (عبود شراد): الاستشراق الأدبي، ١٩٩٠م.
٦. الصلابي: (د.علي محمد): المعجزة الخالدة، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم براهين ســاطعة وأدلة قاطعة، دار المعرفة، بيروت، ٢٠١٦م.
٧. أبو موسى: (محمد محمد): دلالات التراكيب دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، مصر، القاهرة١٩٨٧ ط ٢.
٨. عليان (محمد عبد الفتاح): أضواء على الاستشراق، دار البحوث العلمية، القاهرة١٩٨٠م.
٩. النيسابوري (محمد بن عبد الله): المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة بيروت ١٩٨٦،
١٠. شلتوت: (الإمام الأكبر محمود شلتوت): العقيدة والشريعة، الشروق القاهرة ٢٠٠١م، ط ١٨.
١١. الألوسي: (محمود بن عبد الله): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٢. الرافعي (مصطفى صادق): إعجاز القرآن دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٢٨م.